

المواطن العالمي وحدود ممارسة الفعل الديمقراطي

The Cozmopolitan Citizen and the Limits of the Practice of Democratic Action

تاريخ استلام المقال: 2021/05./30 تاريخ قبول المقال للنشر: 2021/12/15 تاريخ نشر المقال: 2023/12/30

عبد الوهاب حفيان،

—جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (الجزائر)، hafiane201@yahoo.fr

ملخص:

تتطرق الورقة البحثية إلى الإشكاليات المرتبطة بممارسة الفعل المواطناتي في الجزائر ومدى انسجامه مع الممارسات الديمقراطية في العالم، كما تحاول الورقة إمالة اللثام على الممارسات النمطية لممارسة المواطنة على المستوى المحلي وحدود الاندماج مع مقترحات المواطن الكوزموبوليتاني أو العالمي. وسنحاول تحديد وتحليل آليات ممارسة الفعل المواطناتي في الجزائر من خلال التعرض للمسارات التاريخية لمفهوم المواطنة، والحديث عن جدليات الاندماج مع الممارسات التي يبيحها نمط المواطنة العالمية للشعوب، وهل بإمكان النظام ضمان آليات ممارسة هذا النمط، باعتبار الأخير شكل مبتكر من أشكال ممارسة الفعل الديمقراطي.

كما سنتطرق إلى التبعات التي يترتب عليها والأسس التي تقوم عليها المواطنة والكيفية التي من خلالها تمنح المواطنة، الحقوق الأساسية للمواطنة الديمقراطية والواجبات الأساسية المترتبة على المواطنة الديمقراطية، إذ تحاول الورقة بناء شكل من العلاقة بين التربية وممارسات المواطنة من خلال الحديث عن مفهوم التربية المواطنة، والذي يجعل التربية مهمة لتحقيق المواطنة وشروط التربية المواطنة.

الكلمات المفتاحية باللغة العربية: المواطنة، المواطنة العالمية، الفعل المواطني، الفعل الديمقراطي.

Abstract:

The research paper deals with the problems related to the practice of citizenship action in Algeria and its compatibility with democratic practices in the world. We attempt to identify and analyze the mechanisms of practicing citizenship action in Algeria through exposure to the historical paths of the concept of citizenship, and talking about the dialectics of integration with the practices permitted by the model of global citizenship or cosmopolitan for peoples, and can the system guarantee the mechanisms of practicing this model, considering this model as innovative form of practicing Democratic Action

We will also attempt to address the consequences and foundations on which citizenship is based and how citizenship is granted, the basic rights of democratic citizenship and the basic duties arising from democratic citizenship. The paper attempts to build a form of relationship between education and citizenship practices through Talking about the concept of citizenship education, which makes education important to achieve citizenship and the conditions of citizenship education.

Keywords: Citizenship, cosmopolitan, citizenship action, democratic action

مقدمة:

عادة ما يفخر الإنسان بوجود ضمن جماعة وهوية وطنية ما كترجمة لنوع من تحقيق قيم الانتماء، ويخل ذلك ضمن الصيرورات الكبرى التي عرفها الوجود البشري والتي تكتسب أهمية بالغة في تكوين الخصائص الفردية للشخص كمعيار للاختلاف عن غيره داخل الفضاء الذي يحتويه والذي بدوره لا يخلو من تفاعلات جمة في تحديد الانتماءات وفقا لمعايير، تضبطها الجماعة لتتعايش داخل الرقعة الجغرافية على اختلاف وتنوع التركيبة الاجتماعية داخل الدولة – الأمة. ولهذا يرتبط مفهوم المواطنة بعدد المفاهيم المجاورة كالتنوع الثقافي والديني واللغوي داخل الدولة الوطنية والذي لطالما أنتج لنماذج ناجحة في حياة الشعوب والأمم على مر الأزمنة، بما يخدم هذه الأخيرة وفق برامج تعمل على الاندماج الوطني وإرساء دولة المواطنة الفعلية دونما أي تمييز بين مختلف أبناء الوطن الواحد وفق معايير قانونية تضمن العيش الكريم لمختلف ساكنتها.

تعد قضايا الهوية إلى جانب المواطنة من الاهتمامات البالغة الأهمية لضمان استمرارية الشعوب وتعايشها كما أسلفنا الذكر، ازدادت أكثر أهمية في ظل تأثيرات العولمة التي تسعى لتسويق رؤية لعالم معوم بلا حدود بالرغم من الاختلاف والتعدد الذي طالما كان ميزة لصيقة بالوجود البشري. فكل منا بعيدا عن النمطية وقد يحتفي بخصائص لا يشاركها مع الآخر يعمل على إدراكها ومنها استقلالية الذات دونما أي خضوع لأطراف خارجية، وهذا ما ينطبق على حالة الدول إذ تسعى جاهدة لحفظ أمنها الهوياتي في مواجهة تيارات العولمة الجارفة التي تستهدف الدولة الوطنية ومواطنتها المحلية. وفي هذا الصدد تلقى على عاتق الأنظمة السياسية لدول العالم الثالث مسؤوليات جسام، إذ عانت ولايات الاستعمار الذي رفع شعارات توحى رمزيا بأنماط عدة للتحضر لكن مضمونها صلب يستهدف في العادة محو الهويات الثقافية واللغوية والوطنية عامة. يفضي هذا إلى تعثر برامج بناء دولة المواطنة الحقيقية إذ انتهجت تلك الدول نماذج مستوردة غربيا فُرضت عليها لزاماً. بعد موجات استقلالها ظهرت جليا وفتحت للنقاش قضايا التعدد والتنوع داخل الدولة القومية على غرار ما عرفته الجزائر، من تأثيرات السياسات الاستعمارية الكولونيالية على شتى الأصعدة وخصوصا في شقها الثقافي واللغوي.

بناء على ما سبق تحاول الورقة تناول الإشكال التالي: ما المرتكزات الأساسية للمواطنة وما آليات ممارسة فعل ديمقراطي يراعي تنوع وتعدد الدولة الوطنية في مواجهة العولمة؟

1. المواطنة الأصل والمفهوم:

مفهوم المواطنة كغيره من المفاهيم في العلوم الاجتماعية والإنسانية طالما اعتراه اللبس تبعا لاختلاف المشارب الإيديولوجية للمفكرين والمختصين، فهو من المفاهيم العميقة والمتأصلة تاريخيا إذ ارتبط

المفهوم بالعهد اليوناني بمدينة أثينا، حيث كانت تقتصر على من يقطنون داخل أسوار المدينة آنذاك قبل أن يأخذ المصطلح مسارا توسعيا أشمل من عهد الإمبراطورية الرومانية. فلفظ Citent مشتقة من Civets اللاتينية الأصل كانت مرتبطة أساسا بعامل الإقامة، كما عرف مصطلح Citoyen بفرنسا باشتقاقه كذلك من Cité أي المدينة.

لم تعد المواطنة محصورة في قطب معين بل توسعت نظريا وواقعا حسب ما جاء به الفكر المعولم الذي حدد لها صيغا وأشكالا عدة، لتشمل كل من يقطن داخل الدولة دونما أي تمييز في إطار قوانين تصوغها الدولة ليتمتع كل مواطنيها بحقوقهم كما يدلون بواجباتهم على قدم المساواة تجاه وطنهم المنتمين ولاء إليه وليس للمنطق القبلي أو العشائري¹.

وهناك عدة مفاهيم مختلفة للمواطنة يتجلى أهمها في ما يلي:

عرفت موسوعة دائرة المعارف البريطانية مصطلح المواطنة على أساس العلاقة التي تربط الفرد بدولته والتي يدين لها بالطاعة والولاء ويتمتع بحمايتها له. هناك من المفكرين من ينظر للمواطنة أنها تلك الحالة القانونية تضمن حق المشاركة في تشكيلة المنظومة السياسية للدولة، التي بدورها تعمل على ترسيخ قيم ومبادئ المواطنة وغرسها بين مختلف شرائح المجتمع من خلال البرامج التربوية والاجتماعية، تهدف لتقوية حس المواطنة من خلال نشر قيم التسامح والتعايش في ما بين مختلف تكوينات المجتمع على اختلافه وتنوع هويته التي تصب كلها لمصلحة الوطن والولاء له². المواطنة هي تلك العلاقات القانونية ما بين الفرد والدولة تشمل أطراف عدة من المجتمع رغم التنوع الثقافي واللغوي والهويات الفرعية، إذ تمارس حقوقها بالتساوي كحق الترشح للانتخابات والتصويت وغيرها، لصالح الوطن حيث يمثل منتخبيه مختلف شرائح المجتمع دونما أي إقصاء لطرف على حساب آخر³.

استنتجا لما سبق: المواطنة تعني تلك الحركية للأفراد في إطار منظم يتجاوز الانتماءات والولاءات الضيقة إلى انتماء أوسع وهو الدولة – الأمة⁴.

1.1 أبعاد وتراكيب الفعل المواطني:

للمواطنة أبعاد ومكونات رئيسية تقوم عليها وهو ما سنوضحه كالتالي:

¹ برا سنان، إشكالية المواطنة الرعية في التراث السياسي الإسلامي. برلين: المركز الديمقراطي العربي للنشر، 2017، ص. 20.

¹ عيسى الشماس، المجتمع المدني (المواطنة والديمقراطية)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2008، ص. 38.

² عودة عبد الجواد، حقوق المواطنة وواجباتها، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد 2، يناير 2011، ص. 02.

رضوى عمار، التعليم والمواطنة والاندماج الوطني، القاهرة: مركز العقد الاجتماعي، 2014، ص 07.

في أوروبا عقد مؤتمر وزراء التعليم للاتحاد الأوروبي دورته الـ 20 ببولاندا بأكتوبر 2000 اتفق على مجموعة من الأبعاد المواطنة أهمها:

- **البعد السياسي:** من خلال المشاركة في عمليات صنع القرار وممارسة السلطة السياسية.
- **البعد القانوني:** من خلال ممارسة كافة جموع المواطنين لحقوقهم والإدلاء بواجباتهم تجاه وطنهم.
- **البعد العالمي:** باحترام التنوع الثقافي والعيش الكريم المشترك¹. (عادة ما اتببط هذا بالقضايا ذات الاهتمام العالمي كالمناخ ودعم الحريات).

أما في ما يخص أبعاد المواطنة بالمنطقة العربية تتمثل أهمها في ما يلي:

- **البعد الفلسفي:** المواطنة تعد إنتاجا ثقافيا مرجعيته ودلالته الرئيسية هي الحرية والهوية والعدل... إلخ.
- **البعد السياسي والقانوني:** للمواطنة كذلك بعد سياسي وقانوني من خلال التمتع بكافة الحقوق والممارسة الفعلية الجادة بالإدلاء بالواجبات². من أجل تلبية الاحتياجات الأساسية للمواطن من خلال العدالة والمساواة في توزيع الموارد مع توعية وتنشئة الأجيال على ثقافة المواطنة أو التربية على المواطنة (Citizenship Education)³، لكن هنالك من الدول التي ما زالت تعاني من إشكاليات عدة لغياب المشاركة الفعلية لمواطنيها حول عملية اتخاذ القرار وصنعه على ضوء افتقاد الأسس القويمة للديمقراطية.

2.1 دعائم ومبادئ المواطنة:

تقوم المواطنة على مبادئ هامة أساسية من ضمنها:

- 1/ **الانتماء:** هو شعور داخلي لدى الفرد يشعر فيه بحبه لوطنه ويعمل جاهدا لخدمته.
 - 2/ **المساواة:** من خلال المثل أمام القانون بالتوازي دونما أي تمييز.
 - 3/ **الحقوق والواجبات:** يندرج تحت هذا عدة حقوق منها الحق في التعليم والرعاية الصحية دون أي تعد على حريات الآخرين. في مقابل هذا هناك مجموعة واجبات على المواطن أن يؤديها تجاه وطنه منها: احترام القانون والنظام العام والدفاع عن وطنه والنهوض به سواء بأوقات السلم أو الحرب⁴.
- أما عن المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها الفعل المواطني فيمكن إجمالها أساسا في العناصر التي عادة ما ترتبط بالجاذبات والتي عادة ما تنتصر للمحلي في مواجهة الكوكبي أو العالمي، هذه المرتكزات عادة

¹ عيسى الشماس، مرجع سابق، ص. 46.

² محمد شخمان، المواطنة، الكويت: مكتب التوجيه المجتمعي، 2010، ص. 01.

³ قاسي فوزية، المواطنة الديمقراطية في الدول العربية (الواقع والتحديات)، مجلة القانون، المجتمع والسلطة، ع. 05، 2016، ص ص 131-133.

⁴ ظاهر محسن هاني ونعيم حسين كزار، "الدولة والمواطنة" مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية (العراقية)، العدد 01، المجلد 24، 2016، ص. 548.

يجب أن تفعل، وتشغل آلياتها الداخلية لتعطي لنفسها بعدا عالميا لحماية الدولة الوطنية، ومن أهم هذه المرتكزات ما يلي: الفردية، المساواة، المشاركة.

أ/ **الفردية Individualism**: وهو ما ركزت عليه الأيدلوجية الليبرالية حديثا إذ هي ركيزة أساسية للمواطنة، المواطن أساسا هو فرد قبل أن يكون مواطنا إذ يعد غاية وأعلى قيمة للدولة التي وجدت لأجل خدمته عموما.

ب/ **المساواة Equality**: بمعنى أن يحصل المواطن على كافة حقوقه ويمارس واجباته بالتساوي.

ج/ **المشاركة Participance**: تعبر عن الممارسات التي يقوم بها المواطن داخل وطنه في إطار النظام السياسي للتأثير في صناعة وصياغة السياسات العامة الحكومية¹.

بعد هذا تتطرق الورقة لبحث الرغبة الجامحة التي يملكها التيار المعلوم في إعطاء البعد المواطني بعدا عالميا بما تملكه العولمة من وسائل وأدوات وذلك بقصد تقويض أركان الدولة الوطنية في مواجهة العولمة فعقل العولمة اشتغل على إعادة تعريف العديد من المفاهيم ومن أهم هذه المفاهيم السوق والوطن والمواطن حيث احتاجت العولمة دائما إلى ربط هذه المفاهيم بالبعد العالمي الامبريالي لا المحلي الوطني ومهد لذلك عديد الأطروحات الفكرية والأكاديمية انطلاقا من هقنفتون سامويل إلى كينشي اوماي ولازال العمل جار على ذلك.

2. الخصائص المحلية في مواجهة العالمية:

يمكن معالجة هذه الخصائص وفقا لعديد المستويات والدلالات سواء سيسولوجية كانت أو تاريخية وفلسفية، فلقد استخدمت الخصائص كعناصر دالة على الهوية قديما بالفلسفة الأرسطية بمعنى الوجود. جاء تعريفها في اللغة العربية في معنى ضمير "هو" للغائب المفرد أي ذاته. وفي هذا السياق يمكن ذكر بعض التعاريف كالتالي:

- **الفارابي**: الهوية حسب هوية الشيء وخصوصيته وانفراده عن الآخرين. أما عند ابن رشد نظر إليها على أساس المعنى الذي يطلق عليه الشيء الموجود.

¹ حمدي مهران، *المواطنة والمواطن في الفكر السياسي*، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2012، ص. 120.

- **نديم البيطار:** الهوية هي التاريخ وهو من يشكلها، أي لا هوية خارج إطار المجتمع والتاريخ فلا يمكن للفرد أن ينفرد بهويته لوحده فهي مثل أرض الوطن. الولاء للوطن بحد ذاته يتأتى من خلال الولاء للهوية أولاً فالاعتزاز بالتاريخ والحضارة من إحدى أساسيات تشكل الهوية.

- **تعريف الجرجاني:** الهوية هي ما يميز الشيء عن الأغيار¹.

نجد تعريف الهوية في المعجم الوسيط: الهوية هي حقيقة الشيء الذي يميزه عن غيره كما تحمل في طياتها دلالات الباطن الشخصية والجنسية، وفق ثوابت لا تتغير يرتبط بها الإنسان، هذا ما أكدّه عبد الله البريدي على أن الهوية مصطلح مشتق من الأصل اللاتيني بمعنى الشيء نفسه لا غيره². الهوية لاتينية وردت بمعنى ضمير الإشارة للغائب كذلك بمعنى هو ذاته.

الهوية حسب لوشيان باي تتعلق بالرباط العام حول العاطفة الوطنية. فالهوية قديمة قدم الإنسان استأثرت الدراسات الأنثروبولوجيا بدراستها لارتكازها على عامل الانتماء والولاء للكيان الاجتماعي. إذ العضوية داخل جماعة ما يحددها العرق والانتماء الاثنى مع الإقليم والأوضاع الاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية والاجتماعية واللغوية بين مختلف أعضاء الجماعة، إلا أنها لم تعرف التصنيف الفردي مرتبطة في آن واحد بالكيان والوجدان، إذ كانت من ضمن مواضيع العلوم الاجتماعية والتطبيقية قبل أن تبرز كاهتمام للعلوم السياسية في ظل الصدام والصراع الحضاري وآليات التمييز وقوتها الأيديولوجية والفكرية إلا أن التنظير لها كان في ستينيات القرن العشرين تعلق أساساً باستقرار الدولة الوطنية وممارستها³. يمكن القول أن الهوية تحمل في طياتها طبقات "الأنا" و"نحن" أي الفرد والجماعة، وفق قانون التفريد (Individuation) والتوحيد (Unification) في إطار أنظمة ثقافية كبرى⁴.

1.2 مرجعيات الهوية ومحدداتها:

عادة ما يتحدد الإطار الهوياتي وفقاً لمعايير هامة متنوعة، لكن الدارسين يجمعون منهجياً على أنه يمكن تبويبها ضمن محددات مادية وأخرى غير مادية ترصد منها الورقة ما يلي :

- **المحددات المادية:** يمكن قياسها ولمسها كالانتماء الإقليمي الذي يترك أثره البالغ في ذهنية الفرد إلى جانب عناصر أخرى كالملامح اللونية والفيزيائية إذ تعتبر محدداً أساسياً للهوية.

¹ أحمد بعلبكي وآخرون، *الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013، ص. 24.

² هاني الجزار، *أزمة الهوية والتعصب دراسة في سيكولوجية الشباب*، الجزيرة: هلا للنشر والتوزيع، 2010، ص. 12.

³ باسم رزق عدلي مرزوق، *الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي*، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2015، ص. 13 - 25.

⁴ الحاج دواق، "الدين والهوية"، مؤمنون بلا حدود، 2016، ص. 16.

هناك محددات طبقية كذلك للنشاط الاقتصادي المهني على إثرها نشأت الهوية الطبقية مثل البروليتاريا والبرجوازية¹. وهذا ما انتشر من خلال التحليلات الماركسية للمجتمع وطبقاتها بطبيعتها انعكاس صارخ للطبقات الاقتصادية.

- **المحددات غير المادية:** هي غير ملموسة رمزية معنوية تحدد هوية جماعة معينة، تشمل ما يلي:
- الأصول التاريخية: رجوعا لماضي الأسلاف والولادة. تذكرنا للأحداث التاريخية الهامة كالترقية والتنشئة الاجتماعية ومجموع العادات والتقاليد والعلاقات الرمزية مع البنى الاجتماعية القائمة والآثار الناجمة عن القوانين الرسمية للفترات المتعاقبة .

- **مجموع السياقات الثقافية والنفسية:** يتمثل هذا في العقائد والأديان ورموز الثقافات والإيديولوجيات. إلى جانب العناصر العقلية والنظم المعرفية من سمات نفسية ومحددات نظام القيم².

هناك علاقة تلازمية ما بين كل من المواطنة والهوية، فالمواطن لا بد له من نظام سياسي واجتماعي واقتصادي أساسه القيم والعادات، وهو ما يعرف بالهوية التي بدورها تعد حق من حقوق المواطنة كالانتساب الثقافي مثلا³.

فكيف تشغل العولمة على تدمير كل ما تقدم في قالب بشري واحد متمركز حول ذات تحتكر أدوات التفوق بما يمكن من فرض رؤيتها وتسويقها حول قضايا النقاش العام ونظرة تحاول اختزال كل ما هو محلي من قيم وثقافات وعادات لصالح بعد علمي مقولب مصنوع دون مشاركة الآخر بعيدا عن قيمه وبيئته بمختلف أشكالها إنها تسوق للتعدد والتنوع ولكنها تهدف لبناء النمطية أو الإنسان ذو البعد الواحد كما قال عنه هيربرت ماركوز إنسان البعد المادي.

3. المواطنة والسياسي:

في هذا الجزء الأخير من الورقة سنحاول التطرق إلى التقاطعات التي يشترك فيها السياسي مع ما هو مواطني من حيث البات السمو بالفعل المواطني وترقيته المواطن إلى مصاف الشريك الفعلي والاستراتيجي في صناعة القرار وصياغة محددات السياسة العامة للدولة وتوجهاتها الكبرى وذلك من خلال العناصر التالية :

1.3 المواطنة والديمقراطية:

¹ باسم رزق عدلي مرزوق، مرجع سابق، ص 13-25.

² اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة: علي وطفة، ط1، دمشق: دار الوسيم للخدمات الطباعة، 1993، ص. 46.

عبد السلام موكيل، "المواطنة وسياس الدولة والهوية" *مجلة تاريخ العلوم*، العدد 01، ص. 40.

يعتبر الفعل الديمقراطي والآليات المؤسسة له هي الحاضنة الأولى للمواطنة، والمرتبطة بها ارتباطاً عضوياً وسببياً إلى درجة يمكن معها القول بأنه لا يمكن قيام أي منهما في غياب الأخرى.

فمن الممكن وجود الدولة ككيان سياسي من غير ممارسات سليمة للفعل المواطني كما في حالة الدكتاتوريات الشمولية، ولكن لا يمكن أبداً تصور قيام دولة المواطنة من دون الديمقراطية وآلياتها كالدستور، والفصل بين السلطات، والرقابة القضائية، والاعتراف بالحقوق الفردية، والمساواة أمام القانون...

ومن هذا يمكن اعتبار الإدارة الديمقراطية القيمية فهي الحالة العملية للمواطنة ولا يبعد عن الصواب اعتبارهما مترادفين، من منطلق إن الضامن الحقيقي للممارسة السليمة للفعل المواطني هو تبني نمط حكم ديمقراطي يتبنى ويتماشى والآليات التي يفرضها هذا النمط من شفافية ومساواة وعدالة في الحق والواجب

وبما أن المواطنة تتناول المواطن بالدرجة الأولى بإعتباره الهدف الأسمى من عملية الإصلاح وأن استقرار الوطن وتنميته لا يتحقق إلا من خلال إصلاح أول لبنة من لبنات تحقيق الوحدة الوطنية ألا وهو الفرد ومن هنا تأتي أهمية المواطنة في الحياة الإنسانية .

والمواطنة كمبدأ اجتماعي وقانوني وسياسي ساهم في تطور المجتمع الإنساني بشكل كبير إضافة إلى الإرتقاء بالدولة إلى المساواة والعدل والإنصاف، وإلى الديمقراطية والشفافية، والشراكة الحقيقية وضمان الحقوق والواجبات، وعليه، فهي ذات أهمية بمكان لأنها:

تعمل على رفع الخلافات ومظاهر الاختلافات الواقعة بين مكونات المجتمع في سياق التدافع الحضاري، وتذهب إلى تدبيرها في إطار الحوار بما يساهم في تقوية المجتمع

تحفظ للمواطن حقوقه، وتوجب عليه واجبات تجاه غيره من المواطنين وتجاه دولته، بمعنى أنها تحفظ للدولة حقوقها تجاه المواطنين، وتؤدي إلى رفع الثقة بين المواطن والدولة كل منهما تجاه الآخر .

تضمن المساواة والعدل والإنصاف بين المواطنين أمام القانون، وأمام الوظائف العامة والمناصب في الدولة، وأمام المشاركة في المسؤوليات على قدم ومساواة، وأمام توزيع وكذلك أمام الواجبات.

تعترف بالتنوع والتعدد العائدي والعرقى واللغوي والديني والسياسي والثقافي والطائفي والإقتصادي والإجتماعي...الخ، وترتفع عنه في العلاقة بين المواطن والدولة.

تمكّن المواطن من تدبير الشأن العام من خلال النظام الانتخابي ناخبا ومنخبا للمؤسسات المنتخبة التي تعبر عن دولة القانون والمؤسسات، ومن خلال العضوية في منظمات وهيآت المجتمع المدني، والتي عادة ما تكون شريكا في تبني وتحديد منظومة القيم والسلوك لاكتساب المواطنة والتربية عليها¹. كما تعد

- علاء الدين عبد الرزاق جنكو، المرجع السابق، ص: 39، 40 .¹

سلوكا ضامنا ومساهما في بناء توافق ورؤية حول حقوق الإنسان في المجتمع والوطن والدولة، لكونها تنتقل بالحق الإنساني إلى حق المواطنة عبر تشريعه وتقنينه.

أن الاهتمام بقضية المواطنة يفرضه تزايد المشكلات العرقية والدينية المنتشرة على رقعة واسعة من أقطار العالم وتفجر العنف والإبادة الدموية. والمتتبع لتاريخ المواطنة سيجد أنها كانت نتيجة تحولات متداخلة ومتكاملة مرت بها التغيرات السياسية وهي:

- تدعيم حكم القانون وإقامة دولة المؤسسات.
- المشاركة السياسية والتداول السلمي على السلطة وتبنيه كثقافة سياسية .
- تدعيم أركان الدولة .

إن المواطنة بشكلها السليم تعبر عن أسمى الانجازات البشرية ودون الخوض في تاريخية المفهوم مجددا إلا أن تنمية المواطنة بمفهومها السابق إنما هو إنتاج بشري خاضع لأمرين في غاية الأهمية لا يكتب للمواطنة النجاح بدونهما:

الأول: الاندماج في عملية المشاركة في الحكم من خلال العملية الديمقراطية التي تقوم على أساس مشاركة الفرد في ممارسة حقه العام في الترشيح والتصويت.

والثاني: المساواة بين جميع أبناء الوطن والشركاء في توافق إدارة الدولة وضمان الحقوق وأداء الواجبات. مما سبق يتبين لنا أن تحقيق مبدأ المواطنة يساهم في رفع مستوى الاستقرار في الدول حتى تعرف باسم (دولة المواطنة) وتعني: الدولة القائمة على أساس مدني ومصدرها يستند على الشرعي وآليات ممارسة السلطة فيها آليات ديمقراطية تستند على عقد اجتماعي (دستور مدني) يراعي التوافقات والبنى الرمزية المجتمعية المساواة والحريات العامة، وتنظم الحقوق والواجبات وتستند في بقائها واستمراريتها على المشاركة والمشاورة الواسعة للمواطنين.

وهكذا كلما ارتبط مفهوم المواطنة بمصلحة الإنسان وتحقيقه لمقاصده العامة ظهرت أهميته في الحياة الإنسانية كضامن ومؤسس لفعل مجتمعي سليم يمكن أن تنسج فيه المواطنة خيوط تأثيرها على البشر¹.

الخاتمة:

إن ترسيخ المواطنة وتكريسها لا يركز فقط على الدساتير والقوانين والتشريعات المختلفة، فهو يعتمد بشكل كبير على وجود نوع من أنواع التسامح والتوافق المجتمعي والحوار والمشاركة وتقبل الرأي والرأي الآخر وقبول التنوع والتعدد، سواء اختلاف ثقافي أو ديني أو طبقي وغيرها من التغيرات المجتمعية، فالمواطنة

- علاء الدين جنكو، المرجع السابق، ص: 41. ¹

تهدف إلى تحقيق الاندماج بين جميع المواطنين على اختلاف مشاربهم الفكرية والايديولوجية، بالإضافة إلى العمل على نشر الوعي الفردي والجماعي في المجتمع، وهذا الوعي يجب أن يرتبط بفلسفة الحق والواجب، والتأكيد على أن الحرية ليست مطلقة، فهي عادة ما تحوي حزمة معقدة من الإجراءات تتداخل وتتفاعل مع حقوق المجتمع.

على الرغم من ما تقدم، وبشكل لا يخلو من الجدالية؛ فإن فكرة المواطنة تظهر الكثير من المواضيع المتداخلة والمتنافرة في بعض الأحيان، فهي بالنسبة للبعض، قد تتجلى في أشكال من الأخلاق المدنية؛ وبالنسبة لبعضهم الآخر، مجموع من الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الشخص دون النظر في مزاياه الشخصية. أما بالنسبة لآخرين، فهي الوعاء الذي يصهر الهوية الجماعية، وهي المرشد الأسمى لمشاركة الكل في العملية الديمقراطية، وهي أيضًا، كما يرى بعضهم أسمى انتصارات الحداثة السياسية على "النظام القديم". وبالنسبة للآخرين، وأخيرًا، فإن المواطنة، على العكس، هي ثقل لا غنى عنه لتجاوزات الفردية المعاصرة؛ حيث بات الفرد غارقًا في حالة من السيولة على حد تعبير زيغمونت باومان، سيولة تقود الحياة العامة والأسرية إلى التفكك والذوبان.

ويثير موضوع الديمقراطية توجسا لا متناه حول قدرة المواطنة على تدعيم الصالح العام؛ لأنه إذا كانت المفاهيم تؤخذ بها حرفيًا، فإن جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية (الشمالية) من حيث المبدأ تكون أكثر تعلقًا بالأفكار الديمقراطية أكثر من المملكة المتحدة

أخيرًا، ورغم الارتباط المنتظم بين هذين المصطلحين-أو بسببهما-؛ فإن للديمقراطية والمواطنة علاقات معقدة جدًا؛ إذ تعد ممارسة المواطنة بعدًا مهمًا للحياة الديمقراطية؛ إلا أنه واعتمادًا على كيفية تعريفها، يمكن أن يكون أيضًا عقبة: حيث تحدد المواطنة شروط إدراج الفرد في المجتمع السياسي، ويمكن أيضًا أن يكون عاملاً من عوامل الاستبعاد... ما يجعل أمر البث الأخير في العلاقة الحتمية والفاعلة التي تقدمها المواطنة للديمقراطية أمرًا ليس بالسهولة كما يظهر للباحثين. وخاصة ونحن نحيا في ظل عالم تسيطر عليه العولمة التي عادة ما تقتات على مفاهيم الحداثة السائلة، والتي يتولد عنها حالة من السيلان الذي يمس الفعل الديمقراطي ذاته.

قائمة المراجع:

أ/ الكتب

- 1 ابن خلدون، عبد الرحمان. *ديوان المبتدأ والخبر*. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1983.
- 2 الجزائر، هاني. *أزمة الهوية والتعصب دراسة في سيكولوجية الشباب*. الحيزة: هلا للنشر والتوزيع، 2010.
- 3 الديبان، إبراهيم بن علي. *الصراع اللغوي. بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة*. مصر: القاهرة، 2006.
- 4 الشماس، عيسى. *المجتمع المدني (المواطنة والديمقراطية)*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2008.
- 5 الحاج، دواق. *"الدين والهوية، دمشق: مؤمنون بلا حدود، 2016.*

- 6 بعلبكي أحمد وآخرون. *الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.
- 7 سنان، برا. *إشكالية المواطنة الرعية في التراث السياسي الإسلامي*. برلين: المركز الديمقراطي العربي للنشر، 2017.
- 8 شخمان، محمد. *المواطنة*. الكويت: مكتب التوجيه المجتمعي، 2010.
- 9 عدلي مرزوق، باسم رزق، *الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي*. القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2015.
- 10 فضيل، عبد القادر. *اللغة ومعركة الهوية في الجزائر*. ط.2، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، 2015.
- 11 ظاهر محسن هاني، نعيم حسين كزار، "الدولة والمواطنة" *مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية (العراقية)*، العدد 01، المجلد. 24، 2016.
- 12 عبد السلام موكيل، "المواطنة وسباق الدولة والهوية" *مجلة تاريخ العلوم*، العدد. 01.
- 13 عودة، عبد الجواد. حقوق المواطنة وواجباتها، *مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)*. المجلد. 15، العدد. 2، يناير 2011.
- 14 عز الدين، صحراوي. اللغة العربية في الجزائر: التاريخ والهوية، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، ع. 08، جوان 2009.
- 15 أحمد، بن عمار. "صراع اللغات في ضوء التفاعل الحضاري عامل من عوامل نموه " على الموقع التالي:
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/9987>
- 16 بوطقطوقة مبروك: "رؤية استشرافية لظاهرة العنف في الجزائر، " على الموقع:
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/156181>
- 17 ديدوح عمر، "الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية"، *مجلة المعرفة*. على الموقع:
http://www.almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=363&SubModel=138&ID=482
2017/01/26.
- 18 Dario Battistella, *Theories Des RelationInternationales*, 2end ed. (Paris: Presses de sciencepo, 2006) pp, 461-462.
- 19 Jules Verne, *Aventures de trois Russes et de trois Anglais*, collection J. Hetzel, 1872.
- 20 Louis-jean calvet, *lageurre des langues et les politique linguistique*,
<https://www.babelio.com/livres/Calvet-La-guerre-des-langues-et-les-politiques-linguisti/4061>. p 283
- 21 politicalencyclopedia.org/dictionary/المواطنة/ - The Concept of Citizenship. John Pitseys, *Démocratie et citoyenneté*, Dans Dossiers du CRISP 2017/1, N° 88.